الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛
٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نــزيدُ وإن لم نــأكــل لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميُره وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثانِ* فيهلِكَ بسببِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجله* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربِّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربِّ.

على أعتاب الصوم

تتعهّد الكنيسة في مرحلة الصوم الأربعيني المقدس إيقاظ نفوسنا من نوم التواني، وإعادتنا إلى مناهج التوبة وسبل الحياة. فهي تريدنا أن نتنعّم بملء الحياة، هذا الكمال الإنساني الذي لا نبلغه إلاّ في نقاوة شخص المسيح ومحبّته. لذا ندخل معاً مسيرة الصوم الأربعيني، مسيرة جهادٍ روحي يبدو للوهلة الأولى شاقًّا ومحزناً.

يتمحور الصوم الكبير حول عيش الإنسان لسرّ التوبة عبر جهادات الفضائل، وبلوغه عمق هذا السرّ في آلام المسيح وموته وقيامته.

ارتبطت فترة الصوم منذ بداياتها التاريخيّة بالتوبة، بسبب الاعترافات الجماعيّة التي كانت تجري، خلال زمن الصوم، في الكنيسة الأولى. كان التائبون عن زلاّت وخطايا جسيمة يتراجعون في بداية الصوم إلى الجناح الخلفي في الكنيسة حيث رواق الموعوظين، ليقفوا مع مَن هُم في طور الاستعداد للمعموديّة، ولا ينضمّون إلى جماعة المؤمنين قبل الخميس العظيم، حين يشاركون في المناولة الإلهيّة، علامة مصالحتهم مع الكنيسة، و«الفرح العظيم» الذي «يحصل في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ٧).

عبارة التوبة metanoia، تعني تغيير مسار حياة الإنسان بالكامل والعودة إلى الله. هي إدراك الإنسان الواعي لحالته في الخطيئة، الذي يقوده إلى حركة من التركيز والعودة إلى الذات وتبديل الفكر، من أجل التحوّل والرجوع إلى الله، الذي يتأكّد باعترافه بخطيئته.

العدد ٦ / ٢٠١٨
الأحد ١١ شباط
أحد مرفع اللحم (الدينونة)
تذكار الشهيد في الكهنة فلاسيوس والقديسة ثاودورة الملكة
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الثالث

آباؤنا القدّيسون يؤكّدون أنّ إمكانيّة تَبَدُّلِ الإنسان، عبر منهجيّة التوبة والاعتراف، هي في متناول كلّ مؤمن، بفضل قوّة الروح القدس وحضوره، الذي يفتقد الإنسان ويعطيه شوقاً إلهيًّا والرجاء والاندفاع الضروريين من أجل المثابرة في التِماس رحمة الرب ووجهه الكريم.

هنا، لا بدّ أيضًا للتائب من مواجهة الضمير الذي هو عطيّة إلهيّة للإنسان «كناموس بالطبيعة» (رو ٢: ١٤)، للتمييز ما بين الخير والشر. يؤكّد

القديس اسحق السرياني أنّ حركات التوبة تظهر في الإنسان لمجرّد انتباهه وتركيزه على نفسه. تشكّل العودة إلى الذات ضمانة العودة إلى الله بدموع التوبة ورجاء القيامة.

تُجدّد التوبة اتجاه القلب، وتؤدّي إلى تحوّلٍ جذريّ في النظرة إلى العالم وعودة إلى النفس، بعد الانعتاق من تشتّت الأهواء. الإنسان يستعيد الحركة الأصليّة لطبيعته، ويسارع إلى رفض الخطيئة.

سرعان ما يُدركُ من يَلِجُ أعتاب الصوم بثباتٍ وورع أنّه مريح وعذب مثل نير المسيح الهيّن وحمله الخفيف (مت ١١: ٣٠). فإنّ ما في الصوم من «حرمان» أو «تقشّف» يؤدّيان بالمؤمن إلى حرّيّة كبرى وانعتاق حقيقي. أمّا التخشّع العميق في الصلوات والخدم الطقسيّة، فهي خير ركائز للتبدّل الجذري في حياة الإنسان، ولانفتاحه على نِعَم الروح القدس وعطاياه. الإنسان في رصانة الالتزام بالصوم يتّخذ قوّة إلهيّة تفتقد ضعفه وتشفي كلّ جرح في النفس.

تجدر الإشارة إلى أن الروحانيّة الأرثوذكسية تنأى عن أي طابع «قاتم» للتوبة. السرّ هو استعلان فعل «المحبة الإلهية للبشر». أمّا ما يلازم السرّ من تأنيبٍ للضمير وإدراكٍ للعجز الذاتي عن بلوغ التعزية الحقيقيّة، فليسا مجرّد موقف سلبي استسلامي، بمقدار ما هما عنصر استجماع الإنسان لذهنه المشتّت بالأهواء، ليلتئم حول الشوق إلى الله ويقوم في نور الفصح.

التوبة مرادفة للقيامة ولاستعادة دعوة الكائن البشري. لكن الاعتراف بالخطايا وحدَهُ يجعل التوبة فاعلةً. لذا يسعى المسيحي، في فترة الصوم، إلى نوع من الاعتراف المتواتر، حيث يجد ذاته، طيلة الصيام، في كشف صادق لأفكاره الأثيمة وأفعاله أمام أب روحي طبيب للنفس. المؤمن يتّخذ من سرّ الاعتراف قوّة روحيّة يلمسها في حياته اليوميّة، قوّةَ تحوُّلٍ ورجاءٍ وفرحٍ تبرز في عمق كيانه، لأن التوبة هي الرجوع، العبور من الظلمات إلى النور، والاستباق لفصح المسيح الذي يجيز المؤمنين «من الموت إلى الحياة ومن الأرض إلى السماء».

كذلك تبرز أهمية فضيلة التواضع التي هي بمثابة الأساس الذي يصون مسيرة الصوم. الاتضاع هو الفضيلة التي من خلالها نعرف ذواتنا ونطرد أوهام التكبّر الباطلة. فالإنسان يقيس وضاعته على جلال الله، وبمقدار ما ينمو ويتقدّم في معرفة ذاته، بهذا المقدار ينمو في معرفة الله. أساس التواضع هو وقوف الإنسان الصادق وظهوره كما هو، على حقيقته، أمام الله، وإدراكه أن آثامه ضاعفت المسافة الوجوديّة الفاصلة بينه وبين خالقه.

مجتمعاتنا غدت شديدة البعد عن هذا المفهوم المسيحي للتوبة والرجوع إلى الله. لكنّ الإنجيل يناديا ويخبرنا أن الابن الشاطر الذي آثر العيشة في الإسراف والبذخ بعيداً عن الآب السماوي الكلّي الصلاح، دون أيّ وعيٍ أو تحسّسٍ لحقيقة حاله، حين شاهد الخنازير تلتهم الخروب واشتهى أن يكون له شيء منه، «رجع إلى نفسه، وقال أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً» (لو١٥: ١٨ – ١٩). أحسّ بسوء حاله وجسامة سقوطه، وأقرّ بواقعيّة وصدق بما جلبه على نفسه من شرّ،

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخراف من الجداءِ* ويُقيم الخراف عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا الملكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ

أقول لكم بما أنّكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانـاً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُريانـاً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

كلُّ عملٍ نقوم به هنا على الأرض هو عملُ الله. ولكننا نعمل دائماً بتحفظ ومن دون صدق. لا يعجزُ الله عن احتمال ذلك وحسب بل ولا بشرٌ يمكنه فوجد الطريق إلى الحياة.

يتوجه القدّيس سلوان الآثوسي إلينا بالقول إن «آدم، لمّا أدرك سقوطه وأنّه أحزن الله، ناح وبكى بمرارة على سقطته، وكلّ حيوانات الأرض سمعت نوحه في القفر ورثت لحاله. لكنّ السيد، لعظم محبته للبشر، على الصليب، منح آدم فردوساً آخر أفضل من الفردوس القديم. ونحن، بماذا نكافئ الرب عن كل ما أعطانا؟»

أحد الدينونة

«إنّ دانيال النبيّ لمّا صار رجل الشهوات وعاين سلطة الله هتف هكذا: إنّ مجلس الحكم قد انتصب والصحف قد فُتحت، فانظري يا نفسي، أتصومين؟ فلا تغدري بالقريب. أتمتنعين عن المأكل؟ فلا تديني أخاك لئلا تُرسَلي إلى النار فتحترقي كالشمع، لكي يلج المسيح بك بلا مانع إلى ملكوته» (من صلاة سَحَر أحد الدينونة ـ مرفع اللّحم).

إنّ الهدف الأوّل لتجسّد الربّ يسوع وبشارته وعمل الفداء الخلاصيّ الذي قام به على الصليب وموته وقيامته، هو إعادتنا إلى الملكوت الذي فقدناه مع سقوط الجدّ الأوّل. لذا، بدأ الربّ يسوع بشارته قائلاً: «توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧). تحمل هذه الدعوة، في طيّاتها، تحذيرًا من دينونة آتية في اليوم الأخير، قد تكون نتيجتها إمّا دخول الملكوت أو الإقصاء عنه إلى حيث النار التي لا تُطفأ. أعاد الربّ، بموته على الصليب وقيامته المحيية، فَتْح باب الملكوت الموصد، وتاليًا فتح لنا الطريق. لكنّ الربّ، حسب الإنجيليّ متّى (الإصحاح ٢٥)، قُبيل انطلاقه إلى الآلام المقدّسة، وضع الأسس التي على المؤمن أن يحيا بحسبها ليلج الملكوت. سأل التلاميذُ الربَّ: «ما هي علاقة مجيئك وانقضاء الدهر» (مت ٢٤: ٣)، فأجابهم شارحًا علامات مجيئه مختتمًا الحديث بقوله: «إسهروا لأنّكم لا تعلمون في أيّة ساعة يأتي ربّكم... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدّين» (مت ٢٤: ٤٢–٤٤)، ثمّ أردف مباشرة: «حينئذٍ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى...» (مت ٢٥: ١) بعد ذلك سرد مَثَل الوزنات ثم مَثَل الدينونة (مت ٢٥: ٣١–٤٦) الذي يُتلى على مسامعنا اليوم. كأنّنا بالربّ يقول لنا إنّ السهر لاستقبال الربّ والملكوت، هو بالعمل حسب ما ورد في الأمثال الثلاثة السابق ذكرها.

تذكّرنا كنيستنا المقدّسة اليوم، في أحد مرفع اللّحم المسمّى «أحد الدينونة»، قُبيل انطلاقنا في رحلة الصوم البهيّ للوصول إلى آلام الربّ وقيامته، أننا إذا أردنا الحصول على ثمار آلام الربّ وقيامته، أي دخول الملكوت، علينا أن نتهيأ من خلال أعمالنا التي تعلّمناها من إنجيل اليوم. لذلك، يُقرأ في الكنيسة، صباح كلّ يوم من الأيّام التي تلي أحد الدينونة، جزءٌ من قصّة تسليم الربّ يسوع ومحاكمته وصلبه وموته وقيامته.

إذًا، تذكّرنا كلمات الربّ يسوع النبويّة، الواردة في إنجيل الدينونة، والتي تسبق أحداث الأسبوع العظيم المقدّس، برؤى الكتاب المقدّس ونبوءاته. لم تكن مهمّة الأنبياء التنبّؤ بأحداث سوف تحصل بعد زمن كما يفعل المنجّمون. مهمّة الأنبياء أن ينقلوا للبشر كلمة الله التي ستكون الدينونة على أساسها. هنا، المسيح هو «النبيّ» الأعظم،

لأنّه وضع الأسس الأخيرة للدينونة، والأهمّ أنّه سوف يكون هو نفسه القاضي: «متى جاء ابن البشر في مجده وجميع ملائكته القدّيسين معه، فحينئذٍ يجلس على عرش مجده وتُجمع إليه كلّ الأمم فيميّز الخراف عن الجداء». سوف يُصدر ابن البشر–القاضي حكمه المبرم إمّا لحياة أبديّة أو لموت أبديّ، لنعيم أبديّ أو هلاك أبديّ.

على الخطّ الفاصل بين الجداء والخراف، يقف الربّ يسوع المصلوب والقائم من بين الأموات، هناك يعلو الصليب الذي تتطلّع إليه أعيننا في موسم الصوم المبارك. نرى في أسفل الصليب الكريم خشبة مُثبّتة مائلة، مرتفعة من جهة اليمين إلى فوق، ومتجهة نحو الأسفل من جهة اليسار وهي ترمز إلى أنّ الذين عملوا حسب وصايا الربّ سوف يُرفعون إلى يمين الله، ويكونون من مختاريه.

يشرح إنجيل الدينونة، بطريقة عمليّة، ما قصده الربّ بقوله إنّ علينا الاستعداد كالعذارى العاقلات، وما معنى أن يكون بحوزتنا زيت. الزيت هو أعمال الرحمة والمحبّة، كذلك الوزنات هي أعمالنا الصالحة المجانيّة تجاه الفقير والمهمَّش والمعوَز. محبّة الآخر هي القاعدة الذهبيّة التي يستند إليها القاضي ليصدر حكمه. المحبّة العاملة والمُبادرة إلى العمل، التي لا تطلب ما لنفسها، لا المحبّة النظريّة، هي المحبّة الحقيقيّة.

ما قصّة السامريّ الشفوق (لو ١٠: ٢٥–٣٧) سوى الجواب العمليّ الذي أعطاه الربّ للناموسيّ الّذي أراد أن يجرّبه فسأله: «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟... فأجاب وقال تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ قدرتك ومن كلّ فكرك وقريبك مثل نفسك» (لو ١٠: ٢٥–٢٧؛ لا ١٩: ١٨؛ تث ٦: ٥).

يخبرنا إنجيل اليوم أنّ الإثبات على محبّتنا للربّ هو محبّتنا للفقراء والمعوزين والمشرّدين والجياع والعِطاش والمسجونين والمرضى. ما نفعله بأحد إخوة الربّ يسوع الصغار نكون قد فعلناه معه، هو القاضي العادل. ما لا نفعله مع هؤلاء سوف يُحسب علينا خطيئةً، أي إنّ عدم الفعل والمبادرة هو خطيئة أخطر وأسوأ من ارتكاب الخطايا بذاتها. عمليًّا، لم يرتكب جداء اليسار خطيئة، إلاّ أنّ ذنبهم كان أنّهم لم يبادروا إلى خدمة إخوتهم الصغار المعوزين، فكان نصيبهم العذاب الأبديّ. هكذا سيكون نصيبنا إن لم نبادر إلى فعل الرحمة.

لنتذكّر أنّ ما نفعله مع إخوتنا الصغار نكون نفعله مع الربّ نفسه. لعلّه من المناسب هنا أن نورد قصّة للقدّيس غريغوريوس الكبير أسقف روما (ق ٦): يُحكى أنّ راهبًا اسمه مرتيريوس كان في طريقه لزيارة رئيس أحد الأديرة المجاورة عندما صادف مسافرًا منهكًا ممدَّدًا إلى جانب الطريق. لفّه الراهب بجبّته وحمله على ظهره وتابع المسير نحو الدير. رآه رئيس الدير من بعيد فأخذ ينادي رهبانه قائلاً: «إفتحوا الأبواب بسرعة، لأنّ أخانا مرتيريوس آتٍ، وهو حامل المسيح على ظهره».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

احتماله أيضاً. نحن نعلم أن الكون مِلْكٌ لله وأن الأرض كوكبُ الله وأن كل شيء ملكٌ لله، مهما كان نوعُ العمل الذي نقوم به.

كلُّ إنسان سيعطي حساباً، سواء كان صالحاً أم لا، مؤمناً أم غير مؤمن، متفانياً في عمله أم لا. علينا ألا نفكر كثيراً في مَن هم رؤساؤنا في العمل أو من هو مُستخدمُنا. بل يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن كل عملٍ على هذه الأرض وفي الكون كله من أي نوع كان هو عملُ الله، ويجب أن نقوم به على هذا الأساس من كل قلبنا ومن دون أي تحفظ. عندما نتحرّر من معاندتنا الداخلية، كلُّ عمل نقوم به سوف يعود بالنفع على قريبنا بَدءاً، أينما كنا. لذا علينا أن نتحلّى بالصدق في كل حين، عندها سنشعّ بالسلام والهدوء والمحبة وسنصبح بالمقابل محبوبين. بأفكارنا يمكننا أن نجتذب أعداءنا وأصدقاءنا وعائلتنا وجيراننا، أو نَصُدَّهم. لكن الناس عادةً يستخفون بهذا الأمر، ويتألمون كثيراً نتيجة ذلك.

الشيخ تداوس الصربي